المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد 6 - الإصدار 65
تأريخ النشر: 20 مارس 2025 م

ثنائية اللغة في مرحلة الطفولة المبكرة (دراسة تحليلية)

Bilingualism in Early Childhood (An Analytical Study)

إعداد:

الباحثة/ بشرى موسى الفيفي[1]*، الباحثة/ سارة فهد الفهيد[2]، الباحثة/ منيرة سعد الثبيتي[3]، الباحثة/ وجد عبد الله الحميضي[4]

ماجستير الآداب في تربية الطفولة المبكرة، كلية التربية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية [1-4]

*Email: Alfaifib1@gmail.com

الملخص:

هدف هذا البحث إلى معرفة مفهوم الثنائية اللغوية، وأنواعها وعوامل ظهورها، والتعرف على التأثيرات السلبية والايجابية لثنائية اللغة على النمو اللغوي، والاجتماعي، والمعرفي للطفل، وتقديم نظرة عامة عن ثنائية اللغة في المملكة العربية السعودية بوصفها أحد القضايا المعاصرة في مرحلة الطفولة المبكرة، من خلال اتباع المنهج الوصفي التحليلي، حيث تعد ثنائية اللغة من أكثر القضايا التربوية جدلاً واختلافاً فيذهب العديد من الباحثون إلى أن لثنائية اللغة أثار سلبية على النمو اللغوي للطفل وتأخر النمو اللغوي والجانب الأخر يرون في ثنائية اللغة أهمية في تعزيز النمو المعرفي والاجتماعي للطفل وتعزيز قدرته على الادراك والتفكير المنطقي وتوسعة مداركه وأنماط تفكيره، توصلت الباحثات من خلال هذا البحث إلى أن هناك عدة عوامل لظهور ثنائية اللغة أهمها العوامل السياسية مثل الهجرة، وعوامل اجتماعية وثقافية كالزواج من جنسيات مختلفة والعولمة، وكذلك عوامل تربوية في أنظمة التعليم التي تدعم التنوع الثقافي كالمدارس الدولية، أيضا تؤثر ثنائية اللغة على النمو اللغوي للطفل بناءً على الطريقة التي يكتسب بها الطفل اللغة الثانية تشير الدراسات أن الطريقة المتزامنة تؤثر أكثر من الذين اكتسبوها بطريقة تتابعية، وأن تعلم اللغة الثانية يكون أفضل عندما يكون الطفل متمكن من لغته الأم، كما أن لثنائية اللغة إيجابيات للطفل في النمو الاجتماعي من حيث بناء الوعي الثقافي وتطوير مهارات التواصل وتعزيز الثقة بالنفس، وتعزيز فرص العمل مستقبلاً، ومن السلبيات الاجتماعية لثنائية اللغة تأثيرها على القيم الاجتماعية عند الأطفال وقد تؤدي إلى فقدان الهوية عند الأطفال، واستنتجت الباحثات أن الأطفال لديهم القدرة على تعلم لغتين ولكن إذا تم استخدام الطرق والاستراتيجيات المناسبة والتي تساعد الطفل على الاندماج بشكل سلس، دون إجباره على تعلم اللغة الثانية دون المساعدة والإرشاد الصحيح.

الكلمات المفتاحية: ثنائية اللغة، مرحلة الطفولة المبكرة، النمو المعرفي، النمو اللغوي

المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد 6 - الإصدار 65
تأريخ النشر: 20 مارس 2025 م

Bilingualism in Early Childhood (An Analytical Study)

Abstract:

This research aims to understand the concept of bilingualism, its types and factors of emergence, and to identify the negative and positive effects of bilingualism on the child's linguistic, social and cognitive development. It also provides an overview of bilingualism in the Kingdom of Saudi Arabia as one of the contemporary issues in early childhood, by following the descriptive and analytical approach. Bilingualism is one of the most controversial and controversial educational issues. Many researchers believe that bilingualism has negative effects on the child's linguistic development and delayed linguistic development. On the other hand, they see bilingualism as important in enhancing the child's cognitive and social development, strengthening his ability to perceive and think logically, and expanding his perceptions and thinking patterns. Through this research, the researchers concluded that there are several factors for the emergence of bilingualism, the most important of which are political factors such as immigration, social and cultural factors such as marriage between different nationalities and globalization, as well as educational factors in education systems that support cultural diversity such as international schools. Bilingualism also affects the child's linguistic development based on the way in which the child acquires the second language. Studies indicate that the simultaneous method has a greater impact than those who acquire it sequentially, and that learning a second language is It is best when a child is proficient in their mother tongue. Bilingualism also has positive social development benefits, such as building cultural awareness, developing communication skills, boosting self-confidence, and enhancing future job opportunities. The social downsides of bilingualism include its impact on children's social values and potentially leading to a loss of identity. The researchers concluded that children have the ability to learn two languages, but only if appropriate methods and strategies are used to help the child integrate smoothly, without forcing them to learn the second language without proper assistance and guidance. In light of this, the researchers recommend preserving social values and cultural identity among bilinguals in early childhood.

Keywords: Bilingualism, Early Childhood, Cognitive Development, Language Development

1. المقدمة

تُعد اللغة الوسيلة الأولى التي يستخدمها الفرد للتواصل مع غيره، وهي أساس التواصل بين الأفراد والمجتمعات والشعوب. وتعتبر اللغة أحد أبرز المهارات التي يكتسبها الطفل خلال الخمس سنوات الأولى في حياته. حيث يولد الطفل وتولد معه قدرة السمع ثم تتطور تدريجيًا قدرته على النطق واستخدام اللغة.

ويتسم العصر الحالي بأنه عصر تعدد اللغات وتنوعها، وعصر الاتصال بلغات مختلفة، والانفتاح على اللغات العالمية، وعدم الانغلاق على الذات والتقوقع داخل حيز محلي. لا سيما في ظل التراكم المعرفي المتواصل، والثورة العلمية المتنامية، وثورة الاتصالات والحاسوب والإنترنت التي أدت إلى تحولات متلاحقة في مختلف المجالات (علام، 2021).

إن احتكاك اللغة بغيرها من اللغات يؤثر عليها سلبًا أو إيجابًا، ويؤدي إلى تغيرها تغيرًا معينًا بقدر ما اكتسبت من خصائص وصفات جديدة من اللغات الأخرى. وفي بعض المجتمعات تتعايش لغتان مختلفتان لظروف معينة، مما يجعل الفرد يتعلم لغة أو أكثر غير لغته الأم، كاللغة الانجليزية إلى جانب اللغة العربية مثلًا، وهنا توجد ما تسمى بظاهرة الثنائية اللغوية (علام، 2021).

انتشرت في الآونة الأخيرة ظاهرة مدارس اللغات أو المدارس العالمية وذلك بدوره أدى إلى تسابق الأسر لتعليم أطفالهم اللغة الأجنبية منذ مرحلة الطفولة المبكرة وقبل أن يتقنوا لغتهم الأم. وذلك بدوره أدى إلى انتشار ظاهرة الثنائية اللغوية في مرحلة الطفولة المبكرة، وهي ظاهرة ترتبط بالقدرات الفردية للطفل والمهارات اللغوية التي تمكنه من استخدام لغتين في آن واحد (محمد، 2022).

ويتوقف كثيرٌ من الباحثين عند الثنائية اللغوية بوصفها شكلًا من الردة اللغوية، ويرى آخرون أنها تهديد مباشر للأمن اللغوي. بينما ينظر إليها آخرون بوصفها طريقًا للتحضر ودخول مجتمع المعرفة والمنافسة الاقتصادية. في حين ينظر لها آخرون بأنها تهيئ لثنائي اللغة فهمًا أعمق باللغة وكيفية استعمالها بفاعلية (العناتي، 2019).

1.1. أهداف البحث:

تهدف الباحثات من خلال هذا البحث إلى:

- معرفة مفهوم الثنائية اللغوية، وأنواعها وعوامل ظهورها.
- التعرف على التأثيرات السلبية والإيجابية لثنائية اللغة على النمو اللغوي، والاجتماعي، والمعرفي للطفل.
- تقديم نظرة عامة عن ثنائية اللغة في المملكة العربية السعودية بوصفها أحد القضايا المعاصرة في مرحلة الطفولة المبكرة.

2.1. أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث بما يقدمه من إضافة علمية ومعرفية في التعلم اللغوي في مرحلة الطفولة المبكرة في ظل التطور التكنولوجي والتطور والانفتاح الثقافي بين الحضارات وكذلك الهجرة، حيث تشير بعض الدراسات أن ثنائية اللغة لدى الأطفال تنمي مهاراتهم الإدراكية والتفكير النقدي والقدرة على حل المشكلات، كذلك يشكل هذا البحث أهمية في تعزيز السياسات التربوية والحفاظ على الهوية الثقافية وإبراز الإيجابيات والسلبيات والتحديات التي يواجهها الأطفال ثنائي اللغة في البيئات التعليمية والمجتمعية التي لا تدعم بشكل متوازن تعدد اللغات.

3.1. منهج البحث:

استخدمت الباحثات المنهج الوصفي التحليلي لدراسة ظاهرة ثنائية اللغة ووصفها، وتحليل سلبياتها وإيجابياتها بناءً على الأدبيات السابقة.

2. الإطار النظري:

1.2. مفهوم ثنائية اللغة وأنواعها والعوامل المؤثرة على ظهورها:

1.1.2. مفهوم ثنائية اللغة:

تعد ثنائية اللغة من الموضوعات المهمة في علوم النفس النظرية والتطبيقية وذلك في ضوء الأعداد المتزايدة من الأطفال الذين يتحدثون أو يتعلمون لغة ثانية وقد تباينت آراء اللغويين حول مفهوم الثنائية اللغوية واختلفت تعريفاتهم لها وكان مقدار إجادة اللغات هو المعيار الأساسي لتلك التعريفات، ومن بين هذه التعاريف: تعريف قابيل وآخرون (2017) بأن ثنائية اللغة تتعلق بقدرة الشخص على استعمال لغتين في التواصل كما لو كان أحد مواطنيها الأصليين، على الرغم من أنه ليس كذلك أو أن تكون إحدى اللغتين في إطار ثقافي والأخرى في إطار ثقافي آخر.

وعرفتها البلوشية (2014) إلى أنها تعليم الفرد لغة ثانية غير اللغة الأم، مع استخدامها استخداما متبادلا مع اللغة الأم بهدف تمكين الفرد من استخدام اللغتين كلتيهما بنفس القدر من الإتقان.

2.1.2. أنواع ثنائية اللغة:

تظهر ثنائية اللغة في مجالات الحياة، وفي جوانب متعددة من جوانب المجتمع، مما يترتب عليه اختلاف أشكال هذه الثنائية باختلاف المجالات الاجتماعية التي تظهر فيها. ودارت محاورها في مجملها حول الفرد والمجتمع اعتمادًا على أساس درجة الإتقان، وطريقة التعلم والمهارات اللغوية والثقافية وغيرها، حيث نتج عن هذه الأمور أنواع متعددة من هذه الثنائية عيشي (2017) أهمها:

1. الثنائية الفردية

يتعلق هذا النوع من الثنائية بالفرد بشكل خاص، فإذا كان مدار الحديث الفرد ولغتيه، فإن معنى ذلك، الحديث عن الثنائية اللغوية الفردية وفي مثل هذه الحالة تتم دراسة الثنائية اللغوية كظاهرة فردية، وتسمى بالفردية لأنها تختص بالفرد وتنسب إليه (محمود، 2002، 80).

2. الثنائية المجتمعية

هذا النوع يعني دراسة الظاهرة كظاهرة عامة في المجتمع، تتناول هذه العوامل اللغوية المتصارعة داخل المجتمع، وتفاعلاتها وتأثيراتها في ذلك المجتمع، وهذا يتطلب دراسة اللغات المستخدمة في هذا المجتمع، فندرس اللغة الأقوى، ولغة الأكثرية، ولغة الأقلية، بغرض وضع سياسة ناجحة في التعليم. وهذه الثنائية تعني أن هناك لغتين مستخدمتين في مجتمع ما، كما لا تعني ضرورة استخدام كل من الأفراد المجتمع للغتين (محمود، 2002، 81).

ومن الدول التي تنتشر فيها الثنائية المجتمعية دولة الجزائر والتي تعد فيها اللغة الفرنسية أهم لغة أجنبية مستعملة ومتداولة لا سيما في المدن الكبرى والساحلية الخاصة وذلك لجملة من الأسباب والعوامل الخاصة المرتبطة بعهد الاستعمار الفرنسي الطويل

في الجزائر، فبقيت تدرس في التعليم من الابتدائي كلغة أجنبية أولى، ومازالت الفرنسية لغة التعليم في الجامعة مما يجعل تعلمها في المراحل الأولية أمرا ضروريا وحتميا لإكمال المسار التعليمي في الجامعة (علي، 2021).

3. الثنائية الأفقية

إذا استخدم أفراد مجتمع ما لهجتين للغة واحدة، إحداهما الفصحى أو العالية وهي التي تتمتع بمكانة عالية وثانيهما اللهجة العامية أو الدارجة وهي أقل شأنا من سابقتها في الحياة العامة، ولا ترقى إلى المستويات الرسمية أو الثقافية، في مثل هذه الحال يطلق عليها الثنائية اللغوية الأفقية كما يطلق عليها اسم الثنائية اللجية (محمود، 2002، 82).

3.1.2. العوامل المؤثرة على ظهور ثنائية اللغة:

ظهرت العديد من العوامل التي أدت إلى ظهور ثنائية اللغة وتم تقسيمها إلى عدة جوانب رئيسية:

1. أسباب سياسية

يعتبر العامل السياسي أهم العوامل في ظهور الثنائية اللغوية وتفشيها كالهجرة الجماعية بسبب الاضطهاد السياسي، أو العرفي، او الديني، أو هروبا من الفقر والأمراض، بحثا عن السلامة والأمن ومنها يستدعي المهاجرون تعلم لغة البلد المضيف (عيشي، 2017).

2. أسباب اجتماعية ثقافية

ويمكننا أن نرجع هذه النوع من الأسباب إلى تلك العلاقات بين الأفراد مثل: الزواج بين اثنين مختلفي الجنسية، وكل منهما يسعى لتعليم أولاده اللغة الأم (عيشي،2017).

كما أضاف العناتي (2019) أن هيمنة العولمة ولغتها الإنجليزية واتجاه العالم نحو التعدد اللغوي بسبب زيادة التفاعلات بين الثقافات المختلفة في عصر التقدم التكنولوجي، أدى إلى تشجيع التعليم الثنائي اللغة وهو الأمر الذي يتطلب تعليم لغة أجنبية للأطفال بجانب لغتهم الأم.

وذكر جروجون (2017). أنه قد واجه العديد من الأسر التي يحاولون التأكد من أن يصبح أطفالهم ثنائيي اللغة والأسباب التي يعللون بها رغبتهم في تربية أطفالهم كي يصبحوا ثنائيي اللغة: فبعضهم يريد أن يتحدث الأطفال بلغتي الوالدين، بينما يريد آخرون أن يتمكن الأطفال من التواصل مع جدودهم، ويريد البعض الآخر أن يعدو أبنائهم لليوم الذي يلتحقون فيه بالمدرسة حيث تستخدم لغة أخرى.

ومن الدراسات التي ركزت على دور الأسرة في ظهور الثنائية اللغوية لدى الأطفال دراسة Place& Hoff(2014). والتي كانت بعنوان أثر خصائص التعرض للغتين على إتقان الثنائية اللغوية لدى الأطفال البالغين من العمر عامين حيث هدفت الدراسة إلى محاولة الكشف عن طبيعة تعرض الطفل للغتين (الإنجليزية والإسبانية)، ومدى تأثير الخلفيات اللغوية للوالدين في كفاءة الثنائية اللغوية للأطفال، واعتمدت الدراسة على أداة المقابلة وكانت العينة عبارة عن 40 أسرة من الأسر المهاجرة واللذين لديهم أطفال بعمر 25 شهر، وتعرضوا للغة الإنجليزية والإسبانية منذ الولادة، وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن الأطفال اللذين لديهم أم ناطقة باللغة الإنجليزية هم أكثر تقدما في مفردات اللغة الإنجليزية من اللغة الإسبانية. وتوصلت أيضا إلى أن المهارات اللغوية للطفل تؤثر في اختيار الوالدين للغة التي يتحدثون فيها مع أطفالهم.

3. أسباب تربوية

تجدر الإشـــارة إلى أن النظام التعليمي المتطور الذي يواكب التحولات والتغيرات التي يشـــهدها العالم يهتم بتعليم لغة ثانية على الأقل ليصبح التلاميذ على علم ودراية بما يجري حولنا وليعد الأطفال لمجاراة المستجدات العالمية والتكيف معها بالإضافة إلى مساعدتهم في انفتاح آفاقهم للتفاعل الثقافي، وفهم الآخرين من المجتمعات الأجنبية (سمير، 2013).

انتشـــرت في الآونة الأخيرة عديد من المدارس الدولية ومدارس اللغات التي تعتمد على اللغة الأجنبية في تعليم الأطفال للمواد الدراسـية، بداية من المرحلة الابتدائية بالإضـافة إلى أن المدارس الحكومية أضـافت مادة اللغة الإنجليزية للأطفال بداية من سن دخول المدرسـة، ونتيجة لذلك أصـبح على كل أسـرة ضـرورية تعليم أطفالها اللغة الأجنبية بجانب اللغة الأم قبل دخوله المدرسة (محمد، 2022).

وقد تباينت الدراســات منها ما كانت نتائجها إيجابية على الطفل مثل دراســة Grover & others (2018) والتي كانت بعنوان تطور مفردات اللغة الثانية للأطفال ثنائي اللغة في مرحلة ما قبل المدرسة حيث هدفت الدراسة إلى الكشف عما إذا كان الأطفال في ســن الخامســة من ذوي المهارات اللغوية المختلفة في اللغة الأولى اســتفادوا من المحادثات الجماعية التي يقودها المعلمون باللغة الثانية في السياقات المختلفة. واعتمدت الدراسة على عينة من الأطفال ثنائي اللغة (التركية- النرويجية) وكانت أداة جمع البيانات هي أداة الملاحظة وتطبيق اختبار (Test-III) وتوصـلت نتائج الدراسـة إلى أن الأطفال ما قبل المدرسـة من ذوي المهارات المتطورة في اللغة الأولى واللذين تعرضـــوا لمحادثات مكثفة مع المعلم وقاموا باللعب مع الأصـــدقاء أدت إلى تطور مهارات ومفردات اللغة الثانية وجعلتها أكثر تطورا.

ومنها ما كانت نتائجها سـلبية على الطفل وفقا لدراســة الحارثي (2011) والتي توصـلت إلى أن الغالبية العظمى من عينة البحث أكدوا على وجود عديد من المشكلات التي تواجه أبناءهم نتيجة لهذا النوع من التعليم، وأن لغتهم العربية تأثرت سلبا في مجال لفظ الحروف وتســميتها، وفي اتجاه الكتابة، وفي مجال التعبير الشــفوي والتحريري، بل تجاوز الأمر إلى فقدان الهوية الثقافية كما عبرت إحدى الأمهات.

وتعزو الباحثة هذا الاختلاف في النتائج إلى العديد من العوامل التي قد يكون لها تأثير واضـــح على ثنائية اللغة لدى الطفل كالطرق والاسـتراتيجيات التي يسـتخدمها المعلم داخل غرفة الصـف، ونوع الأنشـطة المقدمة والتي تدعم اللغتين بدون أن يؤثر سلبا على الأخرى، وأيضا تشجيع الأطفال وتقبل الخلفيات المختلفة للأطفال واحترام اللغة الأم لكل طفل.

2.2. تأثير ثنائية اللغة على النمو اللغوي للطفل:

تعد اللغة من الوسـائل الأسـاسـية لإنتاج المعرفة والاتصـال الإنسـاني الاجتماعي، والتي بدونها يكون من الصـعب التعامل والتفاهم مع الآخرين. واختلف اللسـانيون في تحديد السـن المناسـب لتعلم لغة أخرى، الرأي الأول يرى أن الطفولة المبكرة هي السن الأنسب لتعلم لغة أخرى؛ وذلك لأن الطفل في مراحله الأولى يمتلك قدرات ذهنية تُمكنه من اكتساب أكثر من لغة في الوقت نفســه، وتقل هذه القدرات مع تقدمه في السـن. في حين يعارض آخرون هذا الرأي، ويرون أن الوقت الأنسـب هو بعد الاكتمال التام لنظام اللغة الأم، حيث ستعمل اللغة الأم كعامل ميسر ومساعد لاكتساب اللغة الأجنبية (علي، 2021؛ العناتي، 2019).

إن المبدأ الأساسي في تعليم اللغة للطفل هو إتقانه للغة الأم، لأنه شرط مهم للنجاح في تعليمه لغة ثانية. وتُعرف اللغة الأم بأنها أول نظام لغوي يكتسبه الفرد في مراحل طفولته الأولى (Kecskes, 2008). وتعاون الآباء مع المعلمين مطلب مهم لتنمية اللغة، لأن تعلم الطفل للغة أخرى بجانب لغته الأم سيعرقل تقدمه في لغته الأم ويؤخر نموه اللغوي، حيث يصعب على الطفل تعلم مهارات مزدوجة للغتين مما يؤدي لعدم الاتقان التام لأي لغة منهما (الزهراء وآخرون، 2017).

وأشار محمد (2022) إلى أن التجارب اللغوية أثبتت أن تعليم الطفل لغة ثانية قبل إتقانه للغة الأم ينعكس سلبًا على تعليم اللغتين كلتيهما، حيث يعمل ذلك على إرباك مهاراته اللغوية وتأخيرها في كلا اللغتين. لذا فإن تعليم اللغة الثانية بعد إتقان اللغة الأم في مصلحة اللغتين في آنٍ واحد.

وجاءت نتائج الدراسات التي أُجريت في مجال تأثير ثنائية اللغة على لغة الطفل مغايرة. ففي النصف الأول من القرن العشرين توصلت معظم الدراسات إلى أن ثنائية اللغة لها تأثير سلبي على النمو اللغوي للطفل، فكشفت أحد الدراسات أن الأطفال ثنائي اللغة كانوا أضعف من الأطفال أحاديي اللغة في اختبارات الذكاء الشفوية وغير الشفوية (جروجون، 2017/2010).

بينما في منتصف القرن العشرين جاءت نتائج مختلفة عمّا سبق، حيث اكتشف الكثير من الباحثين أن لثنائية اللغة تأثير إيجابي على النمو اللغوي للطفل. حيث أشارت أحد الدراسات إلى أن الأطفال ثنائيو اللغة حصلوا على درجات أعلى في اختبارات الذكاء الشفوية وغير الشفوية وأن لديهم أشكالًا أكثر تنوعًا في الذكاء ومرونةً أكبر في التفكير. بالإضافة لنتائج الدراسات الاخرى التي أُجريت في نفس المجال والتي أشارت إلى أن ثنائيو اللغة لديهم حساسية أكبر تجاه العلاقات الدلالية بين الكلمات، ولديهم قدرة أفضل على تحليل تركيب الجمل، ويتمتعون بقدر أكبر من التفكير التباعدي من أقرانهم أحاديي اللغة (جروجون، 2017/2010).

وتعزو الباحثة هذا التناقض بين النتائج من وجهة نظرها إلى مدى اختلاف العينات التي تم إجراء الدراسات عليها، واختلاف خصاصهم الديموغرافية. بالإضافة لاختلاف طريق اكتسابهم للغة الثانية، فاللذين اكتسبوا اللغة بطريقة متزامنة يختلفون تمامًا عن أقرانهم الذين اكتسبوها بطريقة تتابعية.

وتباينت آثار ثنائية اللغة على النمو اللغوي للطفل ما بين السلب والإيجاب. فأشار بعض الباحثين للآثار السلبية التي تمثلت في الصراع اللغوي الذي يُعد من أبرز الآثار السلبية لثنائية اللغة على لغة الطفل. وتحديدًا في مجال التعليم باللغات الأخرى؛ إذ أن التعليم بلغة أجنبية يحدث صراعًا لغويًا واضحًا لدى الطفل، وتترتب عليه آثار نفسية واجتماعية (علي، 2021). وأشار الحارثي (2011) إلى أن الطفل عندما يبني نظامًا جديدًا للغة الثانية فإنه بذلك يفكك أنظمة اللغة الأولى ويعيد ترتيبها نتيجةً للاحتكاك اللغوي بين اللغتين. أي أن الطفل عندما يبني نظامًا لغويًا جديدًا للغة الثانية فإنه يبنيه على أنقاض النظام اللغوي للغة الأولى.

كما تُعد التأتأة أحد الآثار السلبية الناتجة عن ثنائية اللغة، حيث يشير بعض الباحثين إلى أن التأتأة قد تحدث بسبب تعرض الطفل لأكثر من لغة اثناء اكتسابه للغته الأولى. وتؤكد على ذلك دراسة زهير وصونيا (2020) التي هدفت لتسليط الضوء على اضطرابات اللغة الشفهية التي يعاني منها الأطفال ثنائيو اللغة وتحديدًا التأتأة. والتي اتبعت المنهج الوصفي وأُجريت على عينة تكونت من (24) حالة وباستخدام اختبار شدة التلعثم توصلت الدراسة إلى وجود علاقة ارتباطية موجبة ودالة احصائيًا بين الثنائية اللغوية واضطراب التأتأة.

وبالرغم من أن تأثير الثنائية اللغوية يتوقف على نوع اللغة الأجنبية ومدى اختلافها عن اللغة الأم إلا أنها قد تتسبب في نقص حصيلة الطفل اللغوية من مفردات وصيغ وتراكيب، وهشاشة في التواصل اللغوي، وعدم القدرة على التواصل بسبب اضطراب

الطفل لغويًا. بالإضافة إلى أن التداخل اللغوي الناتج عن ثنائية اللغة قد يؤدي لاضطراب في فهم او تمثل الخصائص اللغوية مما يتسبب في ظهور التشويه أو التحريف اللغوي (علي، 2021).

ويؤكد على ما ذُكر سابقًا دراسة فيرهوفين وآخرون (Verhoeven et al., 2011) التي هدفت للتعرف على أثر ثنائية اللغة والضعف اللغوي على اكتساب اللغة الأم. وأُجريت على عينة شملت (1108) طفل قُسِموا لثلاثة مجموعات (أحاديي اللغة عاديين، ثنائيي اللغة عاديين، أحاديي اللغة ذوي الضعف اللغوي). واعتمدت الدراسة على مقياس الطلاقة اللغوية وأشارت النتائج لوجود أثر سلبي لثنائية اللغة يفوق أثر الضعف اللغوي في عرقلة اكتساب اللغة الأم.

في حين يشير آخرون للآثار الإيجابية لثنائية اللغة على النمو اللغوي والتي تمثلت في أن إتقان الطفل لِلُغته الأولى تسهل عليه تعلم لغة ثانية، فقد تبين أن الأطفال الذين يتعلمون اللغة الثانية قبل إتقان الأولى يعانون من كلا اللغتين. كما تؤدي ثنائية اللغة للتفاهم بين الناس ولها قيمة لغوية داخل المجتمع حيث تسهل التواصل بين الاشخاص. وتسهم في تنمية الرصيد العلمي والمعرفي للطفل من خلال اطلاعه على ثقافة الأخر (علي، 2021).

كما أن اكتساب لغتين في الوقت ذاته يُسهل تطور القدرات اللغوية والذهنية، ويؤدي إلى تحسين المرونة العقلية والتفكير المجرد والذاكرة العاملة لدى الأطفال. خصوصًا إذا ما تم تعايش الأطفال مع ثنائية اللغة بشكل جيد وكانت البيئة المحيطة محفزة، فبالتالي تكون نتائج هؤلاء الأطفال أفضل من نظرائهم من أحادي اللغة. كما أن الأطفال ثنائيي اللغة لديهم تزايد أكثر في الكفاءة اللغوية، ومستويات أعلى في الوعي اللغوي، وإدراك أكبر لبناء اللغة (بيجيلجاك، 2021/2017؛ أوتو، 2020/2017). وجاءت دراسة كيسكس (Kesckes, 2008) التي هدفت للكشف عن مظاهر تأثير اللغة الثانية في اللغة الأم مؤكدةً لما سبق. حيث أشارت النتائج إلى أن تأثير اللغة الثانية في اللغة الأم يظهر في الجانب الإدراكي والتداولي للغة. كما أن اللغة الثانية تُحدث تغيرات إيجابية في نظام أحادي اللغة في حال إذا كانت عملية الاكتساب مكثفة ومتصلة بدوافع المتعلم.

وفي السياق ذاته تضيف لما سبق دراسة حسين (Hussien, 2014) التي هدفت للكشف عن تأثير تعلم اللغة الإنجليزية في تعلم مهارتي القراءة والكتابة في اللغة العربية. والتي اتبعت المنهج الوصفي على عينة تكونت من (83) طالب وطالبة من الصف الرابع في مدرستين أحادية اللغة وثنائية اللغة وشملت أدوات الدراسة على اختبارين لقياس مهارة الكتابة وآخر لقياس مهارة القراءة. وتوصلت النتائج إلى أن أداء ثنائيي اللغة أفضل من أداء أحاديي اللغة مما يؤكد أن تعلم اللغة الثانية يزيد القدرة على إتقان مهارتي القراءة والكتابة في اللغة الأم.

ويمكن تلخيص ما سبق فيما ذكره العناتي (2019) من أبرز التأثيرات لثنائية اللغة على النمو اللغوي للطفل، وهي كالآتي:

1. الطفل ثنائي اللغة أبطأ من أحادي اللغة في ربط الصور بالألفاظ الدالة عليها في اللغة الأم.
2. الثنائية اللغوية تؤثر في مفردات اللغة الأم واكتسابها.
3. تعلم اللغة الثانية يكون أفضل عندما يكون الطفل متمكن من لغته الأم.
4. تطور اللغة الأم ونموها عند الطفل ينبئ بمستوى قدرته على تعلم اللغة الثانية.
5. تأثير اللغة الثانية في اللغة الأم يتأثر بعدة عوامل: العمر، مدة التعرض للغة الثانية، مستوى الكفاية باللغة الأم.

وترى الباحثة أن النمذجة من أكثر الاستراتيجيات الفعّالة لدعم الأطفال ثنائيي اللغة؛ نظرًا لأن الطفل في هذه المرحلة يعتمد في اكتسابه للمهارات على الملاحظة والتقليد بشكل كبير. وهذا ما أكدته نتائج دراسة علام (2021) التي هدفت لقياس فاعلية

برنامج قائم على استراتيجية النمذجة في علاج مشكلات التحدث الناتجة عن الثنائية اللغوية. على عينة تكونت من (30) تلميذ، واستخدم الباحث برنامج قائم على استراتيجية النمذجة كأداة للدراسة. وأسفرت النتائج عن فاعلية البرنامج في علاج مشكلات التحدث الناتجة عن الثنائية اللغوية.

وتلخص الباحثات ما سبق في أن الجانب اللغوي من أكثر الجوانب التي اختلف التربويين في مسألة تأثره بثنائية اللغة. وتعزو الباحثة ذلك إلى اختلاف مدارس وتوجهات التربويين، حيث لاحظت أن علماء اللغة أعربوا بصرامة عن التأثير السلبي لثنائية اللغة على النمو اللغوي للطفل. في حين كان علماء النفس والاجتماع أكثر تقبلًا لهذه الظاهرة وسلطوا جهودهم للكشف عن التأثيرات الإيجابية لها.

وترى الباحثات أن وقتنا الحاضر أصبح فيه تعلم اللغات الأجنبية أمرًا أقرب للضرورة من كونه اختيار، حيث اكتسحت اللغات الأجنبية البيئة المحيطة بالطفل (البيئة الاجتماعية، بيئة المدرسة، وسائل الإعلام). وتؤيد الباحثة الاتجاه المؤيد لتعلم الطفل لغة أخرى في مرحلة الطفولة المبكرة لكن بعد تمكنه من لغته الأم وإتقانه لها. ويكمن دورنا كتربويين في محاولة الوصول لحلول للحد من التأثيرات السلبية لثنائية اللغة على النمو اللغوي للطفل.

3.2. تأثير ثنائية اللغة على النمو الاجتماعي للطفل:

تعليم اللغة الأجنبية للأطفال في هذه الآونة الأخيرة أصبح من الضروريات، والتي بدورها تؤدي لان يمتلك الطفل ثنائية لُغوية، وبما أن البيئة واللغة مندمجان فكل منهما يؤثر ويتأثر بالآخر، وتعتبر من أهم العوامل التي يكتسب فيها الطفل اللغة، وتؤثر على مجالات نموه من ضمنها النمو الاجتماعي.

وباعتبار الإنسان كائن اجتماعي ويستحيل له العيش دون مجتمع في التواصل والترابط، فلذلك تعد اللغة من أهم الظواهر الاجتماعية التي تسمح للفرد بالتقدم والنمو الاجتماعي (القرني، 2005). ويقصد بالنمو الاجتماعي أي نمو الفرد في السمات التي تسهل التفاعل الاجتماعي في الأخذ والعطاء والتأثير والتأثر بالجماعة، وهي عملية تهدف لاكتساب الفرد سلوكيات ومعايير واتجاهات ممثلة للمجتمع، تيسر له الاندماج في المحيط الاجتماعي (أحمد، 2013).

وتعلم ثنائية اللغة تمكن الأطفال من تحقيق مختلف الاحتياجات الاجتماعية مثل: التعارف، والتواصل، والتفاهم، والتقبل، والتعامل، والاحترام، وتبادل المنافع والخبرات بين المجتمعات البشرية المختلفة في اللغة والثقافة وحتى العقيدة، فلذلك دعت الحاجة لتعلم الأطفال لأكثر من لغة مما يسهل عليهم التواصل والتفاعل الاجتماعي مع الآخرين الذين يختلفون عنهم (محمد، 2022).

بالإضافة الى ذلك فإنها تدعم الأطفال في الحفاظ على روابط متينة وطويلة مع أسرهم وثقافتهم ومجتمعهم، وبها يتمكن الأطفال ثنائيو اللغة من تكوين صداقات جديدة وإنشاء علاقات قوية باستخدام لغتهم الثانية، وهذه تعتبر مهارة مهمة في المجتمع المتنوع ثقافيًا، كذلك فأن الأطفال الذين ينشؤون على استخدام أساليب ثنائية اللغة يظهرون ضبط نفس اعلى مما تعتبر عامل رئيسي للنجاح المدرسي (Talking in Teaching, 2016).

وعلى ذلك فقد ذكرت دراسة محمد (2022) عددًا من العوامل الاجتماعية التي تدفع لضرورة الاهتمام بثنائية اللغة للأطفال:

1. أن الأطفال ثنائيو اللغة أكثر قدرة على الإدراك الاجتماعي، وإدراك أفكار الآخرين ورغباتهم ووجهات نظرهم.

2. يخلق للأطفال وعيًا للثقافات المختلفة عنهم.
3. تزيد من فرص عمل الأطفال في المستقبل.
4. تسهم في تنمية المهارات الاجتماعية لدى الأطفال.

كما أن تعدد اللغات وتعلم اللغة الثانية في مرحلة مبكرة على أن يكون الطفل أكثر انفتاحًا على الآخرين وأكثر راحة في التعبير بأكثر من لغة وأكثر من طريقة، مما يؤدي ذلك لتنشـــيط الحوار والتحدث مع الآخرين، ويســـاعد الطفل في الاندماج والتعبير عن حاجاته ورغباته (علام، 2019).

وعليه فقد جاء في Helen Doron Educational Group HDEG (2023) أن تعلم اللغة الثانية يحســـن من المهارات الاجتماعية، ومن المهم كآباء ومربين معرفة تأثير ثنائية اللغة اجتماعيًا على الطفل وهي كما يلي:

1. بناء الوعي الثقافي

واحدة من أهم مزايا تعلم لغة ثانية هي كيفية تعريض الأطفال للثقافات والعادات ووجهات النظر المختلفة، فعندما يغمر الأطفال أنفسهم في لغة جديدة، فانهم يكتسبون فهمًا أعمق لأولئك الذين يتحدثونها، ويساعدهم التفاعل مع الناطقين الأصليين بتلك اللغة على تطوير التعاطف واحترام التنوع الثقافي، ويغذي هذا الوعي الثقافي المتزايد مهاراتهم الاجتماعية، مما يجعلهم أفرادا أكثر انفتاحًا وقبولًا وشمولًا.

2. تطوير مهارات التواصل

اللغة هي الأداة الأســاســية للتواصــل الفعال، وتعلم لغة ثانية يعزز هذه المهارات فعندما يتعلم الأطفال التعبير عن أنفســهم بلغة غير أصــلية، يصــبحون أكثر ثقة وتعبيرًا عند التواصــل، ويتعلمون الاســتماع للآخرين باهتمام، وفهم اللهجات المختلفة، وتعديل مفرداتهم وفقًا لذلك، جميع هذه القدرات لها تأثير غير مباشر، مما يحسن مهارات الاتصال بلغتهم الأم أيضا.

3. تعزيز الثقة بالنفس

تعلم اللغة هو عملية نشطة تجعل الطفل حذر عند المخاطرة وعن ارتكاب الأخطاء والمثابرة من خلال التحديات، فعندما يتغلب الأطفال على هذه العقبات ويحققون إنجازات أثناء عملية تعلم اللغة، فإنهم يكتسبون شعورًا بالفخر والإنجاز مما يعزز ثقتهم بأنفسهم ويمكنهم من التفاعل مع الآخرين بثقة أكبر، وتصبح هذه الثقة حديثًا في تفاعلاتهم الاجتماعية وتجعلهم أكثر انفتاحًا ورغبة في الانخراط في المحادثات ونتيجة لذلك، يصبحون أكثر مهارة اجتماعيًا ومستعدين لاستكشاف بيئات اجتماعية جديدة.

وهذا ما أكدت عليه الدراسات حول تأثير ثنائية اللغة على النمو الاجتماعي حيث جاءت في دراسة عمروني وبوفادن (2014) والتي تهدف إلى الكشف عن حدود اكتساب الطفل للثنائية اللغوية في ظل العولمة والتعليم، واعتمدت على المنهج الوصفي، لتحليل كتاب مدرسي وتوضيح تأثير الازدواجية والثنائية التي يتصف بها بالكتاب، وتوصلت إلى أن الازدواجية اللُغوية في التعلم لها أهمية بالغة في عصر العولمة، حيث توفر للمتعلمين الأطفال فرص الاحتكاك بالآخرين والتواصل معهم وكذلك الاستفادة من خبراتهم وتجاربهم.

بالإضافة الى ذلك فقد افترضت النظرية السلوكية انه من الضروري على الأسرة أن تهيئ الطفل لُغويًا قبل دخوله المدرسة، ليتعامل بشكل أكبر مع اقرانه، فاذا كانت لغته موازية مع لغة الآخرين كان سهلًا على الطفل التواصل معهم، أما إذا كانت حصيلته

اللغوية قليلة فسيشعر بأنه أقل منهم وهذا يجعله خجولًا ومنطويًا عن اقرانه، وغير منطلق في التعبير عن مشاعره وافكاره، لذلك تؤكد المدرسة السلوكية أن تحرص الأسرة على تطوير لغة الطفل واكسابه اللغة الأجنبية (محمد، 2022).

وعلى النقيض فقد ظهرت دراسات دلت على أن هناك آثار اجتماعية سلبية تنعكس على الطفل عند اكتسابه للغة الثانية، حيث سعت دراسة الحارثي (2011) لاستكشاف المشكلة والآثار السلبية التي يعاني منها المتعلمين الدارسين في مدارس ثنائية اللغة من وجهة نظر أولياء أمورهم، واعتمدت على المنهج الوصفي المسحي لوصف الظاهرة، على عينة من أولياء الأمور عددهم (100) من الآباء والأمهات الذين لديهم أطفال يدرسون في مدارس ثنائية اللغة، مستخدمة أداة الاستبانة وصفية وكمية لجمع البيانات، وقد كشفت الدراسة عن وجود مشكلات يعاني منها الأطفال، حيث جاءت في النتائج في مجال الهوية الثقافية والقيم الاجتماعية عدد من أولياء الأمور أحس أن القيم الغربية تتناقض مع قيم ومعتقدات مجتمعاتنا التي قد تؤثر على فقدان الهوية الثقافية الاجتماعية.

ومما سبق فإن الباحثة ترى أن استراتيجية التعلم التعاوني من الاستراتيجيات الملائمة للأطفال والداعمة لتبادل الأفكار والمهارات، وتتيح للأطفال استكشاف مفردات من اللغات المختلفة عن لغتهم الأم، وتكوين حصيلة لُغوية جيدة، تسمح لهم في الاندماج مع الآخرين والتواصل الفعّال.

وعلى ذلك فقد ذكرت دراسة Sclafani (2017) أن التعلم التعاوني في مجموعات تمكن الأطفال ثنائيو اللغة تجربة اللغة الاجتماعية، حيث يتعلم الأطفال من بعضهم من خلال التحدث وتعمل هذه المجموعات على تجاوز الحدود الثقافية ويصبحون أكثر اندماج وانخراط مع الآخرين مما يحقق ذلك اكتساب اللغة.

ومن الاستراتيجيات الاجتماعية الداعمة لتعلم اللُّغة الثانية هي أصدقاء اللغة، ويقصد به بأن يكون هناك صديق لغة او مترجم لغة، يختاره المعلم بعناية للمساعدة في الترجمة اللُّغوية لطفل ثنائي اللغة، حيث يعمل الأطفال مع بعضهم البعض، ويتحدث الطفل المترجم بنفس لغة الطفل الآخر، من خلال ذلك يتمكن الأطفال ثنائيو اللغة الجدد من التواصل الفعّال مع المعلم خلال الترجمة، وكذلك التفاعل اجتماعيًا مع أقرانه (Sclafani, 2017).

وانطلاقًا مما ذكر، فالباحثة تستخلص اختلاف الدراسات في التأثير على النمو والمهارات الاجتماعية لدى الأطفال، على الرغم من الآثار السلبية التي جاءت في تأثيرها على القيم الاجتماعية عند الأطفال، ومن الممكن أن تؤدي ثنائية اللغة إلى فقدان الهوية عند الأطفال إلا أن الغالبية من الدراسات أكدت على تأثيرها الإيجابي في مختلف المواضع التي تجعل من الأطفال منخرطين بشكل أكبر مع الاقران، وتزيد من الثقة التي يخلق لهم الاحترام والتقبل من الاخرين، وكذلك تخلق لهم فرص عمل مستقبلية نتيجة اطلاعهم على مختلف الثقافات، وتعدد علاقاتهم الاجتماعية الإيجابية مع من يختلفون عنهم في اللغة الأم.

4.2. تأثير ثنائية اللغة على النمو المعرفي للطفل:

تمثل المعرفة جانبا هاما من جوانب العملية التعليمية والتي تعمل على تنمية القدرات الذهنية، والتعرف على حالات العقل الداخلية والتي تتمثل في "التفكير، التركيز، وحل المشكلات "؛ ويعد الجانب المعرفي أحد الجوانب الرئيسية في تطور الطفل، فهو يساعد على استيعاب المعلومات وفهم العالم من حوله وتطوير قدراته العقلية والمعرفية؛ وإن انتقال الطفل من مرحلة لأخرى يمكنه من اكتساب العديد من الخبرات بما يتوافق مع قدراته؛ وعليه ، يُعرف الجانب المعرفي بأنه مجموعة من الأساليب والمهارات

يعتمد عليها الأطفال في التعامل مع المواقف المختلفة، والتي تشكل شخصيتهم واتجاهاتهم. ويتمثل الجانب المعرفي في (الإدراك/ التفكير / التذكر / الاستدلال) (أحمد، 2023).

ولقد ظهرت نظريات تربوية مثل نظريات "جاك روسو" و "جان بياجيه" تؤكد على أن المعارف والخبرات السابقة هي التي تساعد في بناء الجانب المعرفي للفرد، وأن تعلم الطفل لغة جديدة يعتمد على ما لديه من بنية معرفية مسبقة، الأمر الذي يدفعه إلى إجراء استراتيجيات معرفية عليا كالتفكير المنطقي والاستدلال لفهم اللغة الثانية الجديدة (عبد السلام، 2016).

ويرى "بياجيه" أن اللغة والفكر يعتمدان على الذكاء، وأن اللغة نشاط إدراكي يمكن استخلاصه من الثوابت التي تشكل البنية الأساسية للذكاء، وتتشكل في مراحل نمو الإدراك المعرفي والتصوري ثم الحسي والحركي، وأن اللغة تساعد في التعبير عن التفكير المجرد، بل يرى أن ثنائية اللغة تؤثر على الاشتغال المعرفي، لأنه عندما يواجه الفرد مشاكل بين اللغتين يستعين بعمليات التفكير لحل تلك المشكلات، ولكن ينفي "بياجيه " دور اللغة في تشكيل وبلورة البنيات المعرفية (باعدي، 2017).

كما يؤكد فيجوتسكي أن الفكر واللغة يظهران بشكل مستقل ومنعزل عن بعضهما البعض، ويمكن تشبيههما بدائرتين متباعدتين، إحداهما تمثل الفكر غير اللفظي والأخرى اللغة أو الكلمة، ومع التقدم في الزمن ونمو الطفل تبدأ الدوائر في الاقتراب من بعضها لتلتقي وتتداخل. وعلى الرغم من أن تطور التفكير وتطور الكلام عند الطفل لا يتطابقان، إلا أنهما يتطوران بشكل يرتبط فيه الواحد بالآخر ارتباطا وثيقا فتطور كلام الطفل يؤثر في التفكير ويعيد بناءه (Al-Hammadi, 2017).

واختلفت الدراسات في تحديد أثر ثنائية اللغة على العمليات المعرفية ففي دراسة سليمان والأنصاري (2013) التي هدفت إلى تحديد الفروق بين الأطفال أحادي اللغة والأطفال ثنائي اللغة في قدرات الذاكرة العاملة، طبقت في الكويت على عينة عشوائية عددها (396) أعمارهم بين 5-11 سنة. توصلت النتائج إلى انخفاض أداء الأطفال ثنائي اللغة في قدرات الذاكرة العاملة عن أقرانهم أحادي اللغة، واتضحت الفروق بشكل كبير مع النمو في العمر، وتباين حجم الاختلافات ونوعها باختلاف الفئات العمرية.

بينما تشير دراسة باعدي (2017) التي هدفت إلى البحث عن طبيعة العلاقة بين ثنائية اللغة والنمو المعرفي لدى الطفل. إلى أن اكتساب الأطفال ثنائية اللغة له تأثير على تنمية التفكير الإبداعي، من خلال المرونة في التفكير، والقدرة على حل المشكلات اللغوية والتي تحتاج مستوى معين من الانتباه الانتقائي. وبالإضافة إلى ذلك، يتميز ثنائي اللغة بالقدرة على التجريد، مما يجعل استجابتهم للتعليمات تتم بصورة أسرع؛ كما تؤكد الدراسة على الأطفال ثنائي اللغة يتمتعون بمزايا في نموهم المعرفي بما يمكنهم من التركيز على الكلمات والرموز التي تختلف معانيها، وأيضا الانتباه إلى المعلومات الغامضة والمتناقضة، وكما تعمل على تحسين المهارات المعرفية لدى هؤلاء الأطفال وتطور التمثيل والإدراك لديهم.

أيضا أكدت دراسة بو عناني (2020) أن ثنائي اللغة يكون لديهم القدرة على تنظيم قدراتهم الإدراكية، ومعالجة العناصر والمكونات في اللسانية الجديدة، الأمر الذي يتطلب جذب الانتباه إلى الأصوات الجديدة، ولكن بمعيار خاصة، كما تؤكد على أن مسارات تعلم اللغة الثانية مبنية على امتلاك اللغة الأولى.

في المقابل جاءت دراسة Shokrkon & Nicoladis (2021) هدفت إلى إعادة دراسة أجريت في عام 2004 أثبتت تفوق الأطفال ثنائي اللغة على الأطفال أحادي اللغة في الوظيفة التنفيذية (وهو مصطلح يشير إلى مجموعة من العمليات المعرفية). قام الباحثان في هذه الدراسة باستخدام نفس الأداة على (80) طفل من نفس الفئة العمرية في الدراسة السابقة (40) طفل أحادي اللغة و(40) ثنائي اللغة، بينت النتائج عدم وجود فروق بين الأطفال ثنائي اللغة والأطفال أحادي اللغة في الوظيفة التنفيذية.

وهدفت دراسة Asrorovna (2023) إلى تلخص آراء العلماء حول تأثير ثنائية اللغة على ذكاء الأطفال، باستخدام الأبحاث المبكرة حتى الأبحاث الحديثة، وتوصلت الدراسة إلى أن هناك بعض الآراء الخاطئة حول ثنائية اللغة، مثل الطفل الذي تعلم لغتين في وقت واحد كان يعاني من نقص في الذكاء، لكن تبين وجود بعض العيوب المنهجية في اختباراتهم. في المقابل أظهر باحثين جوانب إيجابية لثنائية اللغة، وأشاروا إلى أن اكتساب لغتين أو تعلمهما في الوقت نفسه يثري ذكاء الأطفال، وله تأثير جيد في إدراكهم للعالم. وهكذا يشعر العديد من اللغويين أن معرفة لغة ثانية تفيد في الواقع النمو المعرفي للطفل.

ونستخلص مما سبق اختلاف الدراسات والأبحاث حول أثر ثنائية اللغة على الجانب المعرفي فمنهم من يرى أثرها السلبي على الجانب المعرفي ومنهم من يرى إيجابيتها، والبعض الآخر ينفي وجود أي تغيرات في العمليات المعرفية ترجع لثنائية اللغة. وترى الباحثات أن تلك الاختلافات والتناقضات ما بين بعض الدراسات تعود لاختلاف اللغات والفئات العمرية التي طبقت عليها الدراسة.

ورغم الاختلاف في تحديد إيجابيات وسلبيات ثنائية اللغة على الجانب المعرفي نبين أبرز ما جاء بالرجوع إلى كل من (باعدي، 2017) وزروق (2021) نستعرض أهمها بالآتي:

إيجابيات ثنائية اللغة في الجانب المعرفي:

1. توجد علاقة ارتباطية إيجابية بأن الأطفال الأكثر توازن في إتقان اللغتين يكون هناك أثر إيجابي على العمليات المعرفية لديهم.
2. يوجد اختلاف بين دماغ ثنائي اللغة وأحادي اللغة، ف ثنائي اللغة تنشط لديه مناطق معينة في الدماغ كما تقوى الوصلات العصبية.
3. يتصف الطفل ثنائي اللغة بأنه أكثر تنبؤ للمعلومات السياقية ولديهم قدرة على التحليل الجيد للمعلومات اللغوية.
4. بينت بعض الدراسات أن ثنائية اللغة تثري ذكاء الأطفال، ولها تأثير جيد في إدراكهم للعالم.
5. بينت بعض الدراسات أن ثنائية اللغة لها علاقة بالمرونة المعرفية والذهنية.

سلبيات ثنائية اللغة في الجانب المعرفي:

1. أشار بعض العلماء إلى أن الثنائية اللغوية تؤدي إلى تأخر النمو المعرفي لدى الطفل مثل القدرة على التذكر والخلط الذهني.
2. قد تؤدي ثنائية اللغة إلى الحمل المعرفي الزائد والارتباك العقلي حيث قد يواجه صعوبة في الحفاظ على التوازن في عملية استيعاب لغتين معا في وقت واحد.
3. قد يواجه ثنائي اللغة صعوبة في تنظيم تصوراته الذهنية للمفاهيم.
4. يرجع البعض فشل الأقليات اللغوية في التعليم المدرسي، إلى وجود الثنائية اللغوية، مما يمنع الأطفال من استخدام "لغتهم الأولى" والتخلي عنها.

وبعد عرض أبرز الجوانب الإيجابية والسلبية لثنائية اللغة يمكن تلافي تلك السلبيات ودعم الإيجابيات من خلال عدة استراتيجيات وطرق يمكن استخدامها مع الأطفال ثنائي اللغة لدعم الجانب المعرفي منها استراتيجية القصة واستخدام أسلوب (إعادة سرد القصة) حيث يعمل هذا الأسلوب على تشجيع الأطفال على إعادة سرد القصة التي عرضها البالغ وتعكس مدى فهمهم وادراكهم للعناصر الرئيسية في القصة. فمن خلال تلك الطريقة يطور الأطفال ثنائي اللغة فهمًا أفضل لهيكل الحبكة، ويمكنهم من تطوير عملية التذكر والفهم. (Agnieszka et al., 2020).

أيضا يمكن استخدام التعليم المبني على الدماغ، وهي طريقة تساعد في تعلم اللغة من خلال معرفة كيفية عمل الدماغ؛ ثم استخدامها لتعزيز نتائج أفضل للأطفال. مثل معرفة كيفية انتقال المحفز البصري عبر العينين. المعرفة والفهم بكيفية تطور اللغة بالدماغ يسهم في استخدام أساليب مناسبة. ومن الاستراتيجيات المرتبطة بالتعليم المبني على الدماغ: (الغمر المنسق) وهو إشراك المتعلمين في تجارب تعليمية حقيقية تسمح لهم بعيش التعلم وأن يصبحوا محور العملية (Cortes, 2019).

وترى الباحثة أن ثنائية اللغة لا تكون خارج الإطار المعرفي لخبرات الفرد السابقة، وإن دعم الجانب المعرفي لدى الأطفال ثنائي اللغة يمثل تحديًا مهما، من خلال استخدام استراتيجيات وأساليب معرفية، تمكن هؤلاء الأطفال من تعزيز قدراتهم المعرفية وتنمية مهاراتهم اللغوية في كلا اللغتين؛ وأن كل طفل ثنائي اللغة فريد في قدراته واحتياجاته، مما يبرر وجود فروق فردية في استخدام الأساليب المعرفية التي يعتمد عليها كل طفل.

5.2. الخبرات الشخصية للباحثات:

نمر غالبا في حياتنا بمواقف وتجارب مع أشخاص ثنائيي اللغة وربما متعددي اللغات. أحد التجارب كانت مع زميلة في المرحلة الجامعية وُلدت في دولة الإمارات كطفلة باكستانية تتحدث (الأوردو). في سن المدرسة انضمت لمدرسة عالمية تتحدث اللغة الإنجليزية فقط، ولكن ليست هذه المشكلة فيوجد أطفال يتحدثون بلغات مختلفة من ضمنها (الأردو) ولكن المعلمة كانت ترفض أي حديث يتم بلغة تختلف عن (الإنجليزية) بل كانت تنظر بازدراء لمن يتحدث بلغة أخرى. فأصبحت تخفي لغتها حتى بدأت في الذبول والاعتماد على الإنجليزية حتى مع الأشخاص الذين يتحدثون الأوردو من أصدقاء وإخوة. ورغم تطورها وإتقانها للغة الإنجليزية فقد كانت تصف مواقف عديدة واجهاتها لوجودها في مجتمع عربي يتحدث العربية، فتذكر أن البعض كان يطلق عليها مسميات عديدة باللغة العربية؛ مما جعلها تشعر بالعزلة والنقص لفترة حتى تعلمت اللغة العربية الآن واتقنتها، ولكن تصف لغتها الأم (الأوردو) بأنها ضعيفة وركيكة رغم محاولاتها الدائمة بتطويرها.

من خلال خبرة عملي في المدارس العالمية، فدائما ما أواجه أطفال يتحدثون بلغات مختلفة. ومع ذلك بغض النظر عن نوع اللغة التي يتحدثها الطفل فالتحدث بغير اللغة الإنجليزية يعتبر أمر ممنوع في المدرسة، حتى وإن كان الطفل لا يفهمها ولا يتحدثها، فعليه أن يتعايش ويحاول أن يتعلمها من خلال الاستماع للمعلمة أو التحدث مع أصدقاءه. ولاحظت كثيرا أن هذا الأسلوب يؤثر بشكل سلبي على الطفل فهو لا يستطيع أن يعبر ولا التحدث ولا التواصل مع أحد. ولكن كان هناك نوعين من المعلمات نوع تحاول فيه المعلمة التفاعل مع الأطفال عن طريق استخدام مترجم قوقل، وبطاقات مساعدة ومحاولة التحدث مع الطفل بالإشارة وهذه الفئة من الأطفال كانت تتفاعل وتتحدث وبدأت تتأقلم بينما الفئة الثانية لم يكونوا متعاونين بل يجبرون الطفل على التحدث بالإنجليزية فقط دون محاولة مساعدته مما أثر سلبيا على ثقة الطفل وعلى تفاعله مع الآخرين، وهنا ترى الباحثة أن الأطفال لديهم القدرة على تعلم لغتين ولكن إذا تم استخدام الطرق والاستراتيجيات المناسبة والتي تساعد الطفل على الاندماج بشكل سلس.

6.2. واقع ثنائية اللغة بين أطفال المملكة العربية السعودية:

لاحظن الباحثات أن اللغات الأجنبية في المملكة العربية السعودية أصبحت تحظى باهتمام بالغ في الآونة الأخيرة وخصوصًا في مجال التعليم، حيث توجد العديد من المؤسسات التعليمية (روضات، مدارس عالمية، جامعات) التي تتبع نظام التعليم بلغة أجنبية (الإنجليزية). وتحظى هذه المؤسسات التعليمية بإقبال واضح من الأسر السعودية.

كما أجرين الباحثات دراسة استطلاعية بهدف التعرف على واقع ثنائية اللغة عند الأطفال (3-9) في المملكة العربية السعودية، وتم توزيعها في صورة استبانة الكترونية على (100) أم من مختلف أنحاء المملكة، وتكونت الاستبانة من خمسة أسئلة مغلقة، وتم اعتماد مصطلح اللغة العربية بدلًا من اللغة الأم نظرًا لكونها اللغة الأم في المملكة وحتى يكون أوضح للعينة. وجاءت النتائج كالآتي:

1. (17%) من الأمهات يتحدث أطفالهن باللغة العربية فقط. في حين (49%) من الأمهات يتحدث أطفالهن لغة أو أكثر بطلاقة. بينما (34%) من الأمهات يتحدث أطفالهن اللغة العربية بطلاقة ولديهم معرفة بسيطة بلغة أخرى.
2. (92%) من الأمهات يؤيدنّ تعلم أطفالهن لغة أخرى، في حين أبدى (8%) من الأمهات رفضًا تجاه تعلم أطفالهن للغات أخرى غير اللغة العربية.
3. (86%) من الأمهات يرين أن مرحلة الطفولة هي المرحلة الأنسب لتعلم لغات أخرى، في حين يرى (14%) من الأمهات يرين أن هذه المرحلة يجب أن تركز على تعليم اللغة العربية فقط.
4. (35%) من الأمهات يتعرض أطفالهن للغات الأجنبية بشكل كبير من خلال التلفاز، في حين (11%) من الأمهات يتعرض أطفالهن للغة العربية بشكل أكبر. بينما (54%) من الأمهات يتعرض أطفالهن للغة العربية والانجليزية معًا.

تلخيصًا لما سبق فإن ظاهرة ثنائية اللغة موجودة بشكل كبير إلى حدٍ ما بين أطفال المملكة العربية السعودية. ويغلب الاتجاه الإيجابي لدى الأمهات نحو تعلم أطفالهن لِلُغات أخرى، وذلك يعزى لكونهن يرين أن مرحلة الطفولة المبكرة مرحلة يجب أن يتعلم فيها الطفل لغات أخرى غير لغته الأم.

3. الخاتمة:

الثنائية اللغوية ظاهرة لغوية طبيعية توجد في معظم البلدان، وهي كغيرها من الظواهر التي لها تأثيرها السلبي والإيجابي على الطفل بشكل عام وعلى نموه اللغوي، والاجتماعي، والمعرفي بشكل خاص. وسيتمكن المجتمع من الاستفادة من الثنائية اللغوية في مختلف الميادين العلمية وجعلها نقطة قوة في حال إذا تم ضبطها منذ مرحلة الطفولة المبكرة وتوجيهها واستغلالها بأحسن شكل (علي، 2021).

وتلخيصًا لما سبق توصَّلت الأبحاث التي أجُريت في ذلك المجال إلى نتائج مغايرة، فمنها ما أكد التأثير السلبي للثنائية اللغوية على النمو اللغوي والمعرفي والتعليمي، وأنها سبب لحدوث تأخر في مجالات النمو الأخرى. ومنها ما أكد التأثير الإيجابي في نمو الطفل وحصوله على مرونة في التفكير وقدرة على تحليل تركيبات الجمل (علام، 2021؛ جروجون، 2017/2010)

في ضوء ما سبق تستنتج الباحثات ما يلي:

- تتنوع ثنائية اللغة بين الثنائية الفردية الخاص بالفرد نفسه والثنائية المجتمعية كظاهرة في المجتمع كله والثنائية الأقفية.
- هناك عدة عوامل لظهور ثنائية اللغة أهمها العوامل السياسية مثل الهجرة، وعوامل اجتماعية وثقافية كالزواج من جنسيات مختلفة والعولمة، وكذلك عوامل تربوية في أنظمة التعليم التي تدعم التنوع الثقافي كالمدارس الدولية.
- تؤثر ثنائية اللغة على النمو اللغوي للطفل بناءً على الطريقة التي يكتسب بها الطفل اللغة الثانية تشير الدراسات أن الطريقة المتزامنة تؤثر أكثر من الذين اكتسبوها بطريقة تتابعية، وأن تعلم اللغة الثانية يكون أفضل عندما يكون الطفل متمكن من لغته الأم.

- أشارت بعض الدراسات أن الثنائية اللغوية لها بعض الارتباط باضطراب التأتأة.

- لثنائية اللغة إيجابيات للطفل في النمو الاجتماعي من حيث بناء الوعي الثقافي وتطوير مهارات التواصل وتعزيز الثقة بالنفس، وتعزيز فرص العمل مستقبلاً، ومن السلبيات الاجتماعية لثنائية اللغة تأثيرها على القيم الاجتماعية عند الأطفال وقد تؤدي إلى فقدان الهوية عند الأطفال.

- أن الأطفال لديهم القدرة على تعلم لغتين ولكن إذا تم استخدام الطرق والاستراتيجيات المناسبة والتي تساعد الطفل على الاندماج بشكل سلس، دون إجباره على تعلم اللغة الثانية دون المساعدة والإرشاد الصحيح.

وفي ضوء ما توصل له في هذا البحث توصي الباحثات:

- تعزيز القيم الاجتماعية والهوية الثقافية لدى الطفل في مرحلة الطفولة Hثناء تعلم اللغة الثانية.

- استخدام الطرق المناسبة لتعليم الأطفال اللغة الثانية وعدم إجبارهم قصراً على التعلم دون المساعدة.

- Yجراء دراسات مسحية للمدارس الدولية لمعرفة الصعوبات التي يواجهها معلمي مرحلة الطفولة المبكرة في التعليم لطلاب ثنائي اللغة، والسلبيات والايجابيات لذلك.

4. المراجع:

1.4. المراجع العربية

أحمد، نايرة عثمان محمد. (2013). *أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بالنمو الاجتماعي لدى أطفال ما قبل المدرسة في ولاية الخرطوم* [رسالة ماجستير، جامعة النيلين]. الخرطوم.

أحمد، نورا. (2023). برنامج مقترح باستخدام منصة ادمودو لتنمية بعض الجوانب المعرفية لدى طفل الروضة. *مجلة الطفولة*، (44)، 1878-1905.

أوتو، بيفيرلي. (2020). *التطور اللغوي في مرحلة الطفولة المبكرة*. (محمد محمود مهيدات، مترجم). دار جامعة الملك سعود للنشر. (العمل الأصلي نشر في 2017).

باعدي، الحسين. (2017). الثنائية اللغوية والنمو المعرفي لدى الطفل. *مجلة العلوم واللغة والتواصل*، *1*(2)، 1-17.

البلوشية، نوال بنت سيف. (4يوليو،2014). الثنائية اللغوية ناقوس غريب على اللغة العربية، *صحيفة اللغة العربية*. http://alarabuah.org

بو عناني، مصطفى. (2020). الثنائية اللغوية وتدبير مسارات تعلم اللغات: بين نظرية الاستعمال ونظرية النقل اللساني. *مجلة الدراسات اللغوية 3*(4)،1-21.

بيجيلجاك، رانكا. (2021). *الطفل ثنائيّ اللغة من الطفولة المبكرة إلى المدرسة*. (حميد عمر، مترجم). مركز أبو ظبي للغة العربية. (العمل الأصلي نشر في 2017).

جروجون، فرانسوا. (2017). *ثنائيو اللغة*. (زينب عاطف، مترجم). مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. (العمل الأصلي نشر في 2010).

الحارثي، إبراهيم أحمد مسلم. (2011، تشيرين الثاني22). *تأثير التعليم ثنائي اللغة على اللغة الأم: أثر التعليم باللغة الأجنبية على التعليم باللغة العربية، نموذجا* [عرض ورقة]. الموسم الثقافي التاسع والعشرون لمجمع اللغة العربية الأردني، مجمع اللغة العربية الأردني، عمان.

الزهراء، لمصادفة، وفضيلة، مبروكي، ومداني، رابحي. (2017). *الثنائية اللغوية عند الطفل الجزائري في ظل تطور وسائل الأعلام وأثرها على العملية التعليمية* [رسالة ماجستير، جامعة أحمد دراية]. المستودع المؤسساتي لجامعة أحمد دراية-أدرار.

زهير، عمراني، وصونيا، عيواج. (2020). ثنائية اللغة والتأتأة عند الطفل. *مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة باتنة، 21*(2)، 337-354.

زورق، السعدية. (2021). الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية والتداخل اللغوي وعلاقتها ببعض المهارات المعرفية. *مجلة العلوم القانونية والاجتماعية جامعة زيان عاشور، 3*(6)، 269-294.

سليمان، عبد ربه. الأنصاري، بدر. (2013). ثنائية اللغة وقدرات الذاكرة العاملة لدى الأطفال الكويتيين. *المجلة التربوية، 27* (108)، 1313-58.

سمير، معزوزون.(2013). اكتساب اللغة الثانية وأثره على اللغة الأولى. *مجلة الممارسات اللغوية.20*، 45-68.

عبد السلام، خالد. (2016). العلاقة بين اكتساب اللغة الأولى وتعلم اللغة الثانية من منظور معرفي. *مجلة عالم التربية*، (27)، 216-230.

علام، أسماء أحمد أبو زيد. (2019). تعلم الأطفال اللغات الأجنبية انفتاح على الحضارات، أم تهديد للهوية الثقافية؟. *مجلة خطوة المجلس العربي للطفولة والتنمية*، (36)، 27-24.

علام، صابر علام. (2021). برنامج قائم على استراتيجية النمذجة لعلاج مشكلات التحدث الناتجة عن الثنائية اللغوية لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية بمدارس اللغات. *مجلة كلية التربية بجامعة أسيوط، 37*(10)، 1-55.

علي، خديجة. (2021). *الثنائية اللغوية وتأثيرها في تعليمية اللغة العربية (العربية والفرنسية أنموذجا) مقاربة نظرية* [رسالة ماجستير، جامعة يحي فارس بالمدية]. المستودع الرقمي لجامعة المدية. http://dspace.univ-medea.dz/handle/123456789/5891

علي، عاصم. (2014). التداخل اللغوي وأثره في تعلم اللغة الأجنبية لغير الناطقين[بحث مقدم] . أعمال المؤتمر الدولي الأول لتعليم العربية، الجامعة الأردنية.

عمروني، أعمر، وبوفادن، نزيهة. (2014). *الثنائية اللغوية عند الطفل في ظل العولمة والتعليم في المرحلة الابتدائية* [رسالة ماجستير، جامعة عبد الرحمن ميرة]. الجزائر. بجاية.

العناتي، وليد أحمد. (2019). أثر تعليم اللغة الأجنبية في تعلم اللغة العربية وتعليمها في مرحلة الطفولة. *مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها*، (23)، 163-201.

عيشي، خديجة. (2017). الثنائية اللغوية عند تلاميذ المرحلة الابتدائي [أطروحة ماجستير، جامعة أدرار] .الجزائر http://www.univ-adrar.dz/:8080/xmlui/handle/123456789/1232

قابيل، نهاد وزيدان، وجدي والفنجري، حسن والشعراوي، صالح. (2017). ثنائي اللغة/ ثنائي الثقافة ودورها في تحسين التواصل لدى الأطفال الصم: دراسة تحليلية. *مجلة كلية التربية، 28*(111)، 402-436.

القرني، مهدي بن علي. (2005). حياة الطفل بين لغتين. *مجلة كلية دار العلوم*، (34)، 207-230.

محمد، رانيا محمد عبد المقصود. (2022). أثر البيئة الاجتماعية في ثنائية لغة الطفل دراسة مقارنة بين مدرسة حكومية، ومدرسة لغات متميزة. *مجلة كلية الآداب بجامعة المنصورة*، (71)، 645-740.

محمود، إبراهيم. (2002). العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية. *المجلة العلمية*،*3*(1)

2.4. المراجع الأجنبية:

Agnieszka, O., Karolina, M., Marta, B. & Marcin, O. (2020). Retelling a model story improves the narratives of Polish-English bilingual children, International Journal of Bilingual Education and Bilingualism, 23(9), 1083-1107. DOI:10.1080/13670050.2018.1434124

Al-Hammadi, F. S. (2017). Bilingual Effect on the Focus and Attention of children under Eight. Middle East Research Journal, (42). 2-32.

Anahita, S & Elena, N. (2021). Absence of a bilingual cognitive flexibility advantage: A replication study in preschoolers. Pols one, 16(8), 1-12. https://doi.org/10.1371/journal.pone.0255157

Asrorovna, E. (2023, Feb22-23). the influence of bilingualism in cognition of the world and intelligence [Research]. integration of pragma linguistics, functional translation studies and language teaching processes, Online Conference.

Cortes, C. (2019). Brain-Based Learning Strategies to Work with ELLs. [Master dissertation, Greensboro College ProQuest Dissertations]. https://www.proquest.com/docview/2425568140?fromopenview=true&pq-origsite=gscholar

Grover, V & others. (2018). Bilingual preschool children's secondlanguage vocabulary development: The role of first-language vocabulary skills and second-language talk input. International Journal of Bilingualism, 22(2), pp. 234-250.

HDEG: Helen Doron Educational Group. (2023, June 18). How Learning a Second Language Can Improve Your Child's Social Skills and Overcome Language Barriers. https://helendoron.com/english/how-learning-a-second-language-can-improve-your-childs-social-skills-and-overcome-language-barriers/

Hussien, A. M. (2014). The Effect of Learning English (L2) on Learning of Arabic Literacy (L1) in The Primary School. International Education Studies IES, 7(3), 88-98.

Kecskes, I. (2008). The Effect of the Second Language on the First Language. BabyLonia, 2(8), 31-34.

Place, S & Hoff, E. (2014). Properties of Dual Language Exposure that Influence Two-Year-Olds' Bilingual Proficiency. 6(82), pp. 1-32.

Sclafani, Chris. (2017). Strategies for Educators of Bilingual Students: A Critical Review of Literature. International Journal of Education and Literacy Studies, 5(2), 1- 8. http://dx.doi.org/10.7575/aiac.ijels.v.5n.2p.1

Talking in Teaching. (2016). The Benefits of Being Bilingual. https://www2.ed.gov/documents/early-learning/talk-read-sing/bilingual-en.pdf

Verhoeven, L., Steenge, M., Weerdenburg, V. (2011). Assessment of Second Language Proficiency in Bilingual Children with Specific Language Important: A Clinical Perspective. Research in Developmental Disabilities, 32(5).

Doi: doi.org/10.52133/ijrsp.v6.65.7